كتابُ الوحشيّات

وهو الحماسة الصُّغْرَى

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ الحماسة (*)

هذا باب الحماسة الصغرى ، وهو كتاب الوحشيات ، وهذا الكتاب اختاره أبو تمام

(*) رأينا أن نفسر بعض الألفاظ ولا سيما الغريبة ، وأن نحاول شرحَ معاني الأبيات على قدر ما استطعنا الى ذلك سبيلا ، فليس بالأمر السهل شرحُ شعر جاهلي ، بعُد عهدُه ، واختلَف الكثير من أساليبه عن أساليب اليوم ، وليس في يدنا شرح نستند اليه ، ولا مرجع نرجع اليه ، غير كتب اللغة ، وهي إذا كشفت عن معنى اللفظة مفردة ، فهي في كثير من الأحيان لا تؤدي المعنى جملةً ؛ هذا إلى أن الشعر قيل في مواقف كانت بين القبائل ، موقوف فهمه ، وما يراد به ، على معرفة هذه المواقف ، مقدماتها ونتائجها ، وهو ما يزيد في الإشكال والإبهام ، وما أقدمنا على هذا إلاّ رجاءَ أن يستدرك أهل العلم والتحقيق ما فاتنا ، أو غرب عنا ، أو أخطأنا فيه ، وقد يكون من عذرنا في ما نقع فيه من خطأ ، أنّ أبا تمام سَمَّى هذا الديوانَ بالوحشيات : والوحشيّ : ما يستوحش عن الناس ولا يستأنس بهم ، واستعاروه للغريب غير المألوف من الألفاظ والكلام ، وهو ما حمل أبا تمام على ترجمة ديوانه به ، كما ترجمه بالحماسة ، والحماسة : الشجاعة والمنع والمحاربة ، وهي المعاني التي تغلب على شعر الديوان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حبيب بن أوس الطائي رحمه الله ، بعد اختياره كتابَ الحماسة الكبير ، ولم يَروه ، ولكن وُجد بعدَه مكتوباً في مُسوَّدةٍ بخطِّه مترجماً بكتاب الوحشيّات .

قال المتنفق الضبي (١) :

نَجّاكَ جَدٌّ (٢) يفْلِقُ الصَّخْرَ بعدما أظلمتك (٣) خيل الحارثِ بن شَرِيكِ

ألمّت (٤) بنا وجهَ النهارِ (٥) وقد طوت (٦) بكَ العيسُ بطنَ المستوِي فأَرِيكِ (٧)

---

(١) اسم الفاعل من انتفق الضب واليربوع : أي خرج من جحره .
والضبي : نسبة الى الضب أو الضبة ومعناهما : الطلعة قبل أن تنفلق عن الغريض ، والطلعة نَوْر النخلة أي زهرها ، والغريض والإغريض ما في جوف الطلعة .

(٢) الجدّ من معانيه الحظ ، و (جدٌّ يفلق الصّخر) أو حظ يفلق الصخر - كما تقول اليوم - استعمال لا يَزال معروفاً ومستعملاً .

(٣) أظلمتك : غَشِيتك .

(٤) ألمّ به : زاره زيارةً عاجلة - نزل به - زاره غِبًّا ، وكلها تفيد المعنى الذي أراده الشاعر غير أن المعنى الأول قد يكون الأطبقَ .

(٥) وجه النهار : أوله ، يقال : أتيته بوجهِ نهار . وصدرِ نهار . وكلها بمعنى أوله . قال الشاعر :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوَتنا بوَجه نَهارِ

وفي التنزيل العزيز : « آمنوا وجهَ النهار واكفروا آخرَه » .

(٦) طوت : قطعت .

(٧) المستوي (بوزن اسم الفاعل من استوى) : موضع . وكذلك اريك بفتح فكسر . ورواه بعضهم بلفظ التصغير . قيل : اسم جبل في البادية فيكثر ذكره في كلامهم . وقيل هو واد في بلاد بني مرة . وكونه اسماً لجبل ، لا يمنع أن يكون أيضاً اسماً لواد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولو أصبحَ السَّعديُّ قيسٌ بأرضنا لأضحى لُجلٍّ [1] المال غيرَ مليكِ

وقالت عُفيرةُ [2] بنتُ طُرامةَ [3] الكلبية :

تركْنا الطُلسَ [3] من فَتَياتِ قيسٍ أيامى [4] بعْدَ تيسيرِ [5] الخِضابِ

وكنَّ إذا ذكرنَ حميدَ كلبٍ صقَعنَ [6] برَنَّةٍ [7] بعدَ اكتئابِ

---

(١) جل الشيء : معظمه .

وهذه الأبيات ظاهر معناها ظهوراً لا يحتاج الى شرح .

(٢) عفيرة : تصغير عفراء ، وهي الخالصة البياض . وعفراء وعفيرة ، وعفارى من أسماء النساء ، الطرامة بالضم : الريق اليابس على الفم من العطش ـ وهي أيضاً الخضرة تركب على الأسنان ـ وبقية الطعام بين الأسنان .

(٣) الطلس . واحده أطلس : وهو الوسخ الثياب ، الأغبر اللون . والأنثى طلساء .

(٤) أيامى : جمع أيِّم . والأيامى الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء ، وأصله أيايم ، وقد غلب إطلاقها على النساء ، وهي هنا على هذا .

(٥) تيسير : قد تكون بمعنى التهيئة . وفي الحديث : « وقد يُسِّر له ظَهُوره » أي هُيِّئَ . وتيسر للقتال أي تهيأ له واستعد .

وكأن عفيرة تقول : ان هؤلاء الفتيات اللواتي كنَّ تهيأن للخضاب عدن ، بعد ما كان من إيقاع كليب بعبس ، أيامى غبر الوجوه متسخات الثياب لا خضاب ولا زينة .

(٦) صقع بصوته : رفعه .

(٧) الرنة : الصيحة الحزينة .

وقد يكون المعنى : ان فتيات قيس ما ذكرن حميد كلب ـ ولعل حميداً هذا كان صاحب الوقعة ـ إلاّ انكسرن من الحزن ، ثم رفعن أصواتهن بالبكاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فمنْ أرَ للمَقـادةِ[٧] كالعَوالي ولا للثّأْرِ كالقوم الغِضابِ
أراقَ البحـدليُّ[٨] دمَاءَ قيسٍ وألصق خَـدَّ قيسٍ بالتُرابِ
وأفلتْنـا هَجينَ بني سليم يُفَدِّي المُهرَ منْ حبِّ الإيابِ
فلوْلا اللهُ والمهـرُ المُـفَدَّى[٩] لأَبتَ وأنتَ غِربالُ الإهابِ

* * *

(٧) المقادة من مصادر قاد يقود وهي نقيض السوق . وقد تفسر هنا بمعنى التغلب والاستعلاء وانها لا يكونان إلاّ بالرماح أي بقوة السلاح . كما لا يكون الثأر إلاّ لمن يطلبه غاضباً .

(٨) البحدلي : نسبة الى بحدل . والبحدلة : الخفة في السعي . قال الأزهري : سمعت أعرابياً يقول لصاحبٍ له : بَحْدِلْ : بأمره بالاسراع في مشيته ، وعن ابن الأعرابي : بَحْدَلَ الرجلُ إذا مالَ كَتِفه ، وبَحْدَل : اسم رجل يظهر أنه من كَلْبٍ ، أذَلَّ قبساً حتى جعل خدّها من الذلّ لاصقاً بالتراب .

(٩) يُفَدِّي : يقول له : أنا فِداك . وهذا ما قاله هَجينُ بَني سُلَيْم لِمُهره ، لأنه مَكّنه من الهرب ، وبلتفت إلى هذا الهجين الذي نسبه إلى بَني سُلَيم فيقول له : لولا الله وهذا المهر المفدّى الذي هربتَ عليه ، لرجعت الى قومك وجلدُك كالغربال من طعن الرماح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جَعدة[1] بن عبد الله الخُزاعيّ[2] :

ونحنُ منعنا العبدَ إذصاف[3] سهمُه من القوم حتّى خَلّص العبدُ سالما

(١) جعدة . الجعدة حشيشة تنبت على شاطئ الأنهار وتجعّدُ ، وقيل هي شجرة خضراء تنبت في شعاب الجبال بنجد ، وقيل في القيعان ، قال أبو حنيفة : الجعدة : خضراء أو غبراء ، تنبت في الجبال لها رَعْثَة (والرعثة هي المِشربة من قشر الطلعة يُشرب به النبيذ وهي القرط) مثل رَعْثةِ الدّيك ، طيبة الريح تنبت في الربيع وتيبس في الشتاء ، وهي من البقول يحشى بها المرافق ؛ وخالفه الأزهريّ فقال : الجعدة بقلة بريّة لا تنبت على شطوط الأنهار وليس لها رعثة .

وقال النضر : هي شجرة طيبة الريح خضراء ، لها قضيب ، في أطرافها ثمر أبيض تُحشَى بها الوسائد لطيب ريحها .

والجعدة أيضاً : ما بين صمغي الجدي من اللبأ عند الولادة .

ويكنى الذئب بأبي جَعدة وأبي جُعادة . قال الكميت :

ومستطعم يُكنى بغير بناته جعلت له حَظّاً من الزاد أوفرا

وقال عَبيد بنُ الأبرص :

وقالوا هي الخمر تكنى الطلا كما الذئبُ يكنى أبا جعدهْ

أي كنية حسنة ، وعمل منكر .

(٢) الخُزاعي : نسبة الى خُزاعة . وخزع عن أصحابه تخلف عنهم . وسميت خزاعة بهذا الاسم لتخلفهم عن قومهم حين أقبلوا من مأرب .

(٣) صاف يصيف اذا عدل عن الهدف . في حديث أنس ، أن النبي (ﷺ) شاور أبا بكر يوم بدر في الأسرى : فتكلم أبو بكر ، فصافَ عنه الرسول (ﷺ) أي عدل بوجهه عنه ليشاورَ غيرَه . وفي حديث آخر : صافَ أبو بكر عن أبي بُردة . ويقال : أصافه الله عني أي نحّاه . وأصاف الله عني شرّ فلان : أي صرَفه وعَدَل به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقلتُ لهم يا قومنا إن خطبَه ... دقيقٌ[1] ولكنْ ليس نُسلمُ جارما[2]

وغَيْطلةٍ[3] فيها رماحٌ وخِلَّةٌ[4] ... مُقطّعةٌ أوساطَها[5] الدمُ جازِمَا

حبسنا[6] بها حتى إذا ما تزَيّلت[7] ... تُقطِّعُ أوصالاً[8] بها ومَعاصما[9]

---

(١) الدقيق : نقيض الجليل ، والأمر المبهم أو الغامض ، ولعل المعنى الأول هو الأطبق . فيكون المراد : انا لا نسلم المجرم ولو كان جرمه يسيراً لا يُخافُ منه .

(٢) الجارم : الجاني ـ من يجرم نفسه وقومه شراً .

(٣) الغَيطلة : الظلمة المتراكمة ـ والتفاف الناس ، والفيضة ، والشجر الكثير الملتف .

(٤) الخِلة : جَفن السيف المغشى بالأدم . أو هي بِطانة يُغشّى بها جَفن السيف تنقش بالذهب وغيره جمعها : خِلَل وخِلال .

(أو) حرف عطف للشك أو الإبهام وسَطَها فعل ماض من السَّوْط ، وهو خَلْط الشيء بعضَه ببعضٍ ، وقد يكون المعنى على هـذا : ان الجماعة فيهم رماح ، ولهم سيوف أجفانها مقطعة ، أو الدم غشّاها فصبغها حتى كأنها مقطعة . هذا ما بدا لنا من معنى هذا البيت .

(٥) والله ، ثم الشاعر ـ أو من يرى معنىً خيراً من هذا ـ أعلم .

(٦) حبسنا بها : وقفنا .

(٧) ما تزيلت : قد يكون حمَّلها معنى ما زالت .

(٨) الأوصال : جمع وصل (بالضم والكسر) على عظم : أو كل عضو على حدة .

(٩) المعاصم جمع معصم : موضع السوار من اليد ، وربما جعلوا المعصم اليد ، يقول : وقفنا والرماح والسيوف (وقد ذكرها في بيت سابق) تقطع الأوصال والمعاصم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صبرنا ولم نَجزع على كل شَرْمَحٍ (١) طويلِ اليدَينِ لا نُقِرُّ المَظالما
وكنا إذا ما الحربُ شَبَّ وقودُها ضَربنا بأثمانِ المَخاضِ الجماجِما (٢)

* * *

عمرو بن لَاْي التَّيمي : تيم اللاّت (٣) :

يا رُبَّ من يُبْغِضُ أذوادَنا (٤) رُحنَ (٥) على بَغضائهِ واغْتَدَيْنْ (٥)

---

(١) الشَّرْمَح والشَّرْمَحِيّ من الرجال : القَويّ الطَّويل ، وهم الشَّرامح ، ويقال الشَّراحِة . يقول : وقفنا صابرين لا يخيفنا الرجل مهما كان قوياً فنحن قوم لا نرضى بالظلم يقع علينا .
وفي هذه الأبيات ما يدل على أن قوم الشاعر كانوا في يومهم هذا في مقام ضنك، وغاية أمرهم أنهم صبروا حتى لا يقرون على ضيم .

(٢) ثم يعود فيفتخر بقومه وانهم ما كانوا يضنون بالمخاض (أي بنات مخاض على حذف المضاف) وهي النوق يبيعونها ويشترون بأثمانها سلاحاً يضربون بها جماجم الأعداء .

(٣) لاْي وتصغيره لؤي ومعناه الإبطاء والاحباس . التيم : أن يستعبده الهوى ، ومنه تيم الله ، وتيم اللات في ضبة ، وتيم اللات أيضاً في الخزرج من الأنصار ، وهم تيم اللاّت بن ثَعلبة .

(٤) أذواد : جمع ذود (مؤنث) وهي ثلاث من الإبل إلى تسع أو عشر . وهو أشهرها . وقد يطلقونها على العشرين إلى الثلاثين .

(٥) الرّواح : الذهاب في العشي . والغُدُوّ : الذهاب في الصباح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لو يَنبتُ المَرْعَى على أَنفهِ[١] لرُحنَ منه أُصلاً[٢] قد أَنَيْنَ[٣]

عارف الكعبي

— وربّ هنا قد يكون أطلقها عامة يهدد كل من يبغض إبله . أو يكون خصّ بها رجلاً بعينه . كما قد يكون كنّى بابله عن قومه : أي أصحاب الإبل . يقول : من يبغض أذوادنا . فإن أذوادنا تروح وتغدو على بغضائه غير عابئة .

(١) الأنف معروف ، وأنف الشيء أوله .

(٢) الأُصُل : جمع أصيل ، وهو العَشيّ .

(٣) أنى : أدرك وبلغ . والشيء : تأخر وأبطأ ، وبلوغ الشيء منها .

ولعل الشاعر يقول : إن المرعى لو نبت على أنف عدونا (والأنف موضع الحمية من الرجل) لرعته إبلنا . وقد يكون : ان إبلنا لا تعود عن هذا النبت ، إلاّ بعد أن تدرك منه غايتها . . .

لحق : عرفت ان هذا الديوان قد طبع في مصر ، فاذا في تفسير كلماته ، وشرح أبياته ، ما يغني عن هذا العمل الذي بدأت ، وقفت عند هذا المقال ، لأن الغرض نشر الديوان ، لا من ينشره . وإذا رأيت من حاجة الى تعليق أو شرح ، مضيت في ما بدأت به .

(ع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net